نابليون والمهمة الحضارية: سأستعمر مصر
الجزء الأول

الكاتب: محمد جلال كشك

تاريخ مقالات

رغم كل البيانات والمنشورات والتحليلات التي صاحبت وأعقبت الحملة الفرنسية إلى يومنا هذا فإن نابليون كان صريحًا وواضحًا في تحديد مهمته في مصر، عندما قال: سأستعمر مصر!

"سأستعمر مصر، وأستورد الفنانين والعمال من جميع الأنواع والنساء والممثلين، إن ست سنوات تكفيني للذهاب إلى الهند لو سارت الأمور سيرًا طيبًا"

ولو سارت الأمور سيرًا طيبًا.. وحتى دون الوصول إلى الهند، لكان نابليون قد استورد المزيد من العمال والنساء.. ثم الفلاحين. ولكانت مصر قد واجهت مشكلة معمرين أعرق من مشكلة الجزائر بثلث قرن. وهذا المخطط للاستعمار البشري لمصر تحدث عنه نابليون صراحة في مذكراته في "سانت هيلانه" وهو يتحدث عن أحلامه في مصر. وما يمكن أن يحدث فيها من رخاء وتقدم بفضل ضبط مياه النيل وتضاعف عدد السكان أربع مرات بفعل المهاجرين الكثيرين من "اليونان وفرنسا وإيطاليا وبولنده وألمانيا".

لكن الأمور لم تسر سيرًا طيبًا.. لأسباب عديدة أهمها وأخطرها أن الشعب المصري.. أن أولاد العرب.. أمة الإسلام، رفضت المهمة الحضارية لنابليون. عرفت دون جدل ولا لجاجة أنه قادم لاستعمار مصر، فقاومت هذا الاستعمار وأفشلته.

نابليون ودراسة الإسلام

https://mbrabet.com

وعندما قرر نابليون استعمار مصر كنقطة انطلاقة لبناء إمبراطوريته الشرقية، بدأ بدراسة الإسلام وطلب القرآن "وصنفه تحت قائمة الكتب السياسية". ويقول هيرولد: إنه "كان كلما دنا من الساحل الإفريقي استغرق في دراسة الإسلام".

وهو سلوك طبيعي ومفهوم تماما من قائد جاد يريد النجاح في مهمته. أما كل الجهود التي تبذل منذ الحملة الفرنسية إلى اليوم لتتفيه شأن الدين، والبحث عن مكونات لشخصيتنا بعيدا عنه، فليست إلا أسلحة هذا الغزو الغربي. بينما قادة الغرب عندما يواجهون الحقائق ويعدون الحملات، فهم يعرفون أن الخط الحقيقي الذي يقسم العالم إلى غرب وشرق هو الخط الديني. ويعرفون أن الغرب الأوروبي لم ير في الشرق منذ القرن السابع الميلادي إلا ظاهرة إسلامية، ويعرفون أن القوة الحقيقية التي تواجههم في هذا الشرق.. هي الإسلام.

فالعداء موجه ضد الإسلام، والخطر يتوقع من الإسلام.. والحرب موجهة ضد المسلمين والمسيحيين الشرقيين المنتمين حضاريا للشرق الإسلامي من العالم، ومن أراد أن يتغلغل أو يسيطر فلا بد له من دراسة الإسلام.

عملاء الشرق

كان نابليون يدرس الإسلام.. وكليبر يستأجر عددًا من الموظفين المصورين والشوام المقيمين في فرنسا.. ويبدو أن عددا من المصريين كان يقيم منذ زمن لويس الرابع عشر في فرنسا، وسنجد أن الوفد المصري من أيتام المعلم يعقوب يشيرون إلى جهود ذلك العاهل العظيم الذي طلب عددا من شبان الأقباط لتدريبهم وإعدادهم لغزو الحبشة.

https://nurabet.com

ولا نستطيع أن نجد في التاريخ كله ما يشير إلى تأثر هؤلاء المصريين وليس لدينا ما يؤكد أنهم كانوا من الأقباط فقط المقيمين في فرنسا بالثورة الفرنسية. ولا بالتطورات الاجتماعية والفكرية الخطيرة التي وقعت في أوروبا وفي باريس بالذات. إذ أن شيئًا من آثار هذه التطورات لم يتضح في سلوكهم ولا في مواقفهم. لكن المؤكد أنهم قاموا بالمهام التقليدية للعميل الشرقي، وهي صياغة البيانات بلغة محلية ركيكة تغرر بالغازي الإفرنجي أكثر مما تغرر بالأهالي، بما تحتويه من آيات وعبارات تفخيم يقال للإفرنجي أنها ضرورية لكسب احترام الشرقي، إلى جانب إرشاد الغازي إلى بعض نقاط الضعف في البلاد وترشيح الأسماء التي يجب اعتقالها. والأخرى التي يمكن أن يخطب ودها، وتوزيع الغرامات والإتاوات على التجار والمساتير.

لا شك أن موقف هؤلاء العملاء سواء الذين جمعهم كليبر من حانات وأديرة فرنسا، أو الذين جمعهم جيش الاحتلال في مصر.. موقف هؤلاء جميعا يختلف تماما عن موقف أحرار أوروبا الذين كانوا يتعاونون مع جيش الثورة الفرنسية أو يرحبون به أو ينضمون إليه كمقاتلين في سبيل إنجاز ثورتهم الوطنية.. لأن هؤلاء العملاء العرب، لم يخطر ببالهم قط فكرة تحقيق أي إنجاز ثوري ولا سجل لهم التاريخ شبهة من هذا النوع في سلوكهم!

انطلقت الحملة الفرنسية بما استطاعت براعة نابليون وكليبر أن تحشده من جنود ومدفعية وعلماء ومطبعة وكتب وعملاء وتراجمة ونساء في ثياب نسائية أو متخفيات في زي جنود.

الاستيلاء على جزيرة مالطة

ونقف لحظة عند مالطه، حيث نجح نابليون في الاستيلاء السلمي على الجزيرة مستعينًا بسمعة الثورة الفرنسية، والمسيحية، والمال، والمدافع. نقف قليلا

https://narabet.com

مع كريستوفر هيرولد وهو يقارن بين الأسلوب الفرنسي الفعال في تصفية وجود فرسان الاسبتارية وبين أسلوب الأتراك.. لنتأمل هذا الفارق بين السلوكين، فهو يلقي الضوء على إحدى الخصائص الأساسية التي تميز حضارتنا عن الحضارة الغربية، وأيضًا أحد العوامل التي رسمت نهاية حضارتنا في شكلها العثماني وحتمت سيطرة الحضارة الغربية.

ففي عام 1522-1523 كانت السيادة العالمية معقودة لجيش الأتراك بلا منازع.. واستولى الجيش التركي على جزيرة رودس وأجبر فرسان الاسبتارية على التسليم.. ولكن السلطان المنتصر سمح لهم بالجلاء عن الجزيرة حاملين معهم أسلحتهم وخلفهم رتل طويل من العربات المحملة بكنوزهم وسجلاتهم تحت أنظار القوات التركية.. وخرجوا من قلعتهم في احتفال عسكري وسط إجلال الفاتحين الأتراك الصامت

بينما صادر نابليون من كنوز الفرسان ما بلغت قيمته زهاء سبعة ملايين فرنك فضلا عن 35000 بندقية، وبارجتين، وفرقاطة، وأربع سفن خفيفة. وانتدب من يفتش على دار سك النقود وعلى كنوز كنيسة القديس يوحنا، وعلى سائر الأماكن التي قد يعثر فيها على أشياء ذات قيمة ومن الأشياء القيمة التي عثر عليها ذهب قيمته 5 ملايين فرنك، وآنية فضية تقرب قيمتها من مليون فرنك وكنوز كنيسة القديس يوحنا المرصعة بالجواهر والتي تقدر كذلك بنحو مليون فرنج.

ويسخر هيرولد، فيقول:

> "وتعطف بونابرت فأذن للفرسان بأن يأخذوا معهم شظية من

https://murabet.com

الصليب الحقيقي لا تقدر بمال.. ويدا من أيدي يوحنا المعمدان الكثيرة هي ورؤوسه الكثيرة المبعثرة في جميع أرجاء الشرق الأوسط بعد نزعها من صندوقها المرصع بالجواهر، ونقلت جميع قضبان الذهب والفضة والتحف الثمينة بعد جردها إلى مأمور الصرف الفرنسي، وأخذ منها جزء كبير إلى مصر"

المصدر:

١. محمد جلال كشك، ودخلت الخيل الأزهر، ص125

الكلمات المفتاحية:

#الحملة-الفرنسية #نابليون #استعمار-مصر #ودخلت-الخيل-الأزهر

تنويه: نشر مقال أو مقتطف معين لكاتب معين لا يعنى بالضرورة تزكية الكاتب أو تبنى جميع أفكاره.

https://murabet.com